



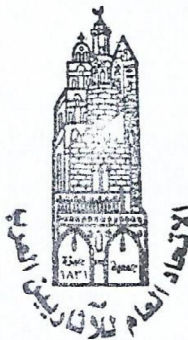
إلى من يهمه الأمر

تفيد إدارة الاتحاد العام للآثار العرب سيادتكم علماً بأن الدكتور/ محمد عبد الودود عبد العظيم عبد الوهاب - مدرس الآثار الإسلامية - بكلية الآثار - جامعاً الفيوم - قد شارك بإلقاء بحث موسوم بـ " الإمارة العربية المعروفة بإمارة بني حفص في جزيرة كريت (٢١٢ - ٣٥٠ هـ / ٨٢٧ / ٩٦١ م) في ضوء الشواهد الأثرية (دراسة أثرية حضارية)" ، وذلك في فعاليات المؤتمر السابع عشر للاتحاد العام للآثار العرب الذي عقد بمقر الأتحاد بالشيخ زايد في الفترة من ١-٣ نوفمبر ٢٠١٤ م وقد ألقى البحث في يوم الأحد - الجلسة المسائية "الآثار الإسلامية" .

والبحت قيد النشر بكتاب مؤتمر ٢٠١٤ م
وقد أعطيت هذه الشهاده بناءً على طلب العضو دون أى مسؤولية على ادارة الاتحاد.

أ.د. محمد محمد الكحلاوى

أمين الإتحاد العام للآثار العرب
ورئيس اللجنة المنظمه للمؤتمر



تحريراً في: ٢٠١٥/١/١٩

E-mail: arabarch@yahoo.com

الموقع الإلكتروني: www.g-arabarch.com

١٠ اشارع حسن حمدى خلف مدينة المبعوثين - مساكن العاملين بجامعة القاهرة - الطابق الأول شقة ٦ ، ٨
موبايل 01002534513 / فاكس ٣٣٣٠٥٨٩٨ (٢٠٢) ت: ٣٣٣٠٥٨٩٨ - ٣٥٦٧٦٠٣٦ (٢٠٢)

الإمارة العربية المعروفة بإمارة بني حفص في جزيرة كريت (٢١٢- ٣٥٠هـ/٨٢٧/٩٦١م) في ضوء الشواهد الأثرية

(دراسة أثرية حضارية)

محمد عبد الودود عبد العظيم عبد الوهاب

مدرس العمارة الإسلامية

كلية الآثار- جامعة الفيوم

maa02@fayoum.edu.eg

ملخص البحث

اهتمت بعض الدراسات الأجنبية بتناول الإطار التاريخي للإمارة العربية التي أسسها أبو حفص عمر البلوطي على أرض جزيرة كريت في المدة ما بين (٢١٢- ٣٥٠هـ/٨٢٧- ٩٦١م)، وقد تناولت هذه الدراسات العديد من الجوانب المهمة في تاريخ تلك المرحلة من عمر الجزيرة^١.

وقد اعتمدت مثل هذه الدراسات على العديد من المصادر في التأريخ لتلك الحقبة، وفي مقدمتها المصادر البيزنطية التي أسهبت في تسجيل تاريخ تلك الأحداث التي مرت بها أرض الجزيرة بشكل واف، تلك الأحداث التي أسهمت بدورهم في تاريخ منطقة البحر المتوسط منذ وقت مبكر. وبالرغم من ذلك، نجدها قد أغفلت الجوانب الأثرية والفنية التي يمكن من خلالها استقراء تاريخ الأحداث التي مرت بها الجزيرة.

لذا هدفت هذه الورقة إلى توثيق الوقائع التاريخية والأحداث البارزة، التي سجلتها المصادر القديمة بيزنطية كانت أم عربية، والربط بين هذه المصادر وما وصلنا من شواهد مادية من تصاوير ومواقع وعملات نقدية من هذه الحقبة التاريخية؛ للتوصل في النهاية إلى صورة كاملة ورؤية واضحة عن تاريخ تلك الإمارة العربية، التي حكمت الجزيرة وما حولها من الجزر قرابة ١٣٥ سنة كما سيتضح من خلال هذا البحث.

كما يأمل الباحث القيام بعمل متكامل عن تاريخ تلك الحقبة وظروفها السياسية والفنية والمعمارية، ولعل مما يزيد من الحماسة في هذا الصدد، مسألة نقص الأعمال المتكاملة عن الوجود الإسلامي في جزيرة كريت، حيث نجد أن التناول جاء في شكل مقتطفات هنا وهناك في كتب التاريخ، بشكل غير كاف لتغطية تاريخ دولة استمرت كل هذا الوقت محورا للصراع بين أكبر قوتين في منطقة حوض البحر المتوسط.

وفي النهاية أتطلع إلى الإجابة عن كل الأسئلة التي تؤرخ إجاباتها لأحداث المنطقة في تلك الحقبة، ومن هذه الأسئلة مثلا: من أين انطلقت فكرة فتح الجزيرة؟ وما هي الخطوات التي تُخِذت؟ وعدد القوات؟ ونقطة الانطلاق؟ وكذلك نقطة الإبرار؟ البحري الذي قامت به القوات الإسلامية على أرض

¹Christides. V, the conquest of Crete by the Arab (824 A.D), Turning point in the struggle between Byzantium and Islam, Athens 1984.

Tsougarakis. D, Byzantine Crete from 5th century to the Venetian conquest, Athens 1988.

الجزيرة؟ معتمداً في الإجابات على ما بين أيدينا من أدلة وشواهد مادية مدعومة من أقوال وكتابات المصادر المعاصرة لهذه الحقبة، والتالية لها.

متن البحث:

انقسمت الإمبراطورية الرومانية إلى إمبراطورية شرقية وأخرى غربية، وكانت جزيرة كريت^٢ في ذلك الوقت تابعة للإدارة الغربية ثم انضمت إلى الإمبراطورية البيزنطية (الإمبراطورية الرومانية الشرقية) سنة ٣٩٥م، التي اهتمت بجزيرة كريت (خريطة ١)، إلا أنها أهملتها وتركها بدون حماية كافية، مما أعطى الفرصة للمسلمين للقيام بمحاولة الاستيلاء عليها^٣.

بدأ الغزو الإسلامي لجزيرة كريت بوصول مجموعة من الأندلسيين المنفيين إليها خلال النصف الثاني من عهد الإمبراطور البيزنطي ميخائيل الثاني (٢٠٥-٢١٤هـ/٨٢٠-٨٢٩م)^٤، كان هؤلاء الأندلسيون هم المسلمون الناجون من قمع الأميرالحكم بن هشام بعد فشل محاولة تمرد ضده عام ٢٠٢هـ/٨١٨م، والتي عُرفت باسم وقعة الربض^٥، حيث نُفي أهل ربض شقندة الواقعة في جنوب قرطبة بعد أن كَفَّ الحكم عنهم، فاستقر بعضهم في مدينة فاس بالمغرب، في حين توجه آخرون بقيادة عمر بن حفص بن شعيب بن عيسى البلوطي المعروف باسم "أبي حفص" إلى الإسكندرية وسيطروا عليها حتى عام ٢١٢هـ/٨٢٧م، عندما حاصرهم والي مصر عبد الله بن طاهر وطردهم من المدينة^٦. والحقيقة أن تاريخ وصول المسلمين إلى كريت مُختلف فيه: فقد ذكرت المصادر الإسلامية أنه تم في عام ٢١٢هـ/٨٢٧م أو ٢١٣هـ/٨٢٨م، بعد طرد الأندلسيين من الإسكندرية^٧، أما المصادر البيزنطية فقد ذكرت تاريخاً مختلفاً لوصول الأندلسيين للجزيرة، تمثل في أنه كان بعد قمع ثورة ثوماس الصقلي عام ٢٠٨هـ/٨٢٣م.

وتوالى بعد ذلك المحاولات لفتح الجزيرة، أسفرت عن السيطرة عليها بشكل كامل على يد القائد الأندلسي أبي حفص عمر، الذي انطلق من قرطبة في اتجاه الإسكندرية سنة ١٩٨هـ/٨١٣م، ومنها صوب جزيرة كريت^٨، في قوة قوامها يتراوح ما بين حوالي عشرة آلاف وخمسة عشر ألف محارب، على

^٢ تعود تسمية المدينة إلى اللغة العربية، حيث أنها المدينة اليونانية الوحيدة التي بناها العرب في...؟ التي عرفها باسم إقريطش عام ٨٢٤ م. وكان اسم المدينة وقتها ربض الخندق، فأصبحت باللغة اليونانية خانداكاس (Χάνδαξ أو Χάνδακας)، ثم في اللغة الإيطالية كاندية (Candia)، وذلك عندما أصبحت المدينة في يد البندقية، فأصبح الاسم شائعاً في اللغات ذات الأصل اللاتيني. أما اسم المدينة الرسمي والمتداول عالمياً هو هيراكليو (Ηράκλειο)، والذي هو صفة من الشخصية الأسطورية الإغريقية الشهيرة هرقل، والذي يمكن أن يعرب أيضاً إلى هيراكلون أو هيراكلون (Ηράκλειον). هناك اسم ثالث للمدينة أقل تداولاً، وقد شاع بين الكريتيين في القرون الثلاث الأخيرة (خلال الحقبة العثمانية) وهو ميغالوكاسترو (ΜεγάλοΚάστρο)، وتعني القلعة الكبيرة.

3Miles. G, Byzantium and the Arabs: Relations in Crete and the Aegean Area , Dumbarton Oaks Papers, vol. 18, 1964, p. 15

4Makrypoulias. Ch, The Byzantine Expeditions against the Emirate of Crete c. 825-949, Graeco-Arabica 7-8, Crete 2000, pp. 347-348.

5. ابن الأبار، الحلة السيرة، تحقيق حسين مؤنس، ج١، دار المعارف، القاهرة ١٩٦٣، ٤٤-٤٥.

6 Miles. G, Byzantium and the Arabs, pp. 10-11. Christides. V, the conquest of Crete by the Arab, pp. 89-90

7Christides. V, the conquest of Crete by the Arab, pp. 89-90

^٨ هناك بعض المصادر البيزنطية تشير إلى أن الأندلسيين قد توجهوا إلى كريت رأساً من إسبانيا وليس من الإسكندرية، ولكن المصادر العربية تؤكد انطلاقه من الإسكندرية، للمزيد انظر:

متن أربعين سفينة حربية^٩ وبمجرد نزول قوات أبي حفص عمر بأرض الجزيرة عام ٢٠٧-٢٠٨هـ/م، بدأت مرحلة جديدة من الصراع الإسلامي البيزنطي.

وجدير بالذكر، أنه يمكن دراسة تاريخ هذه الدولة العربية الإسلامية، التي تعارفت عليها المصادر التاريخية بإمارة بني حفص العربية، من خلال كتب اللوغوتخنيا "Λογοτεχνεία" البيزنطية، وهي تلك المخطوطات البيزنطية المصورة، التي اشتملت على العديد من التعليقات المهمة جدا في دراسة التاريخ على غرار المخطوطات الإسلامية. كما ذُيلت بالخرائط التي قام بإعدادها الفينيقيون واليونانيون للجزيرة في تحديد بعض المواقع الأثرية على أرض الجزيرة.

وقد اعتمدت بشكل أساسي في هذه الدراسة على هذه الشواهد المادية التي وصلتنا من المصادر البيزنطية، حيث أسهم مؤرخو الإمبراطورية البيزنطية بدراسات وافية سجلت لنا العديد من الأحداث التاريخية التي مرت بها منطقة حوض البحر المتوسط. وكان من أهم هذه المصادر مخطوط The Synopsis Historiarum لمؤلفه 'Ioannes Skylitizes'، الذي يرجع إلى القرنين ١٢-١٣ الميلاديين (لوحة ١). وترجع أهمية هذا المخطوط بالنسبة لهذه الورقة إلى أنه يحتوي على عدد من التصاوير التي تسرد العديد من التفاصيل التاريخية للإمارة العربية منذ كانت فكرة في رؤوس الأندلسيين في بلاد الوندال (الأندلس)، وتفصيل الحملة على الجزيرة وكذلك مراحل الصراع والحروب البيزنطية الإسلامية، وصولا إلى طرد المسلمين نهائيا من كريت، كل ذلك في خمسة عشرة تصويرة ملونة مدعومة بالنصوص اليونانية التي تشرح لنا التفاصيل.

وهناك مصدر آخر يمكن الاعتماد به في هذه الدراسة، ألا وهو ما تم العثور عليه من المسكوكات التي قامت أسرة بني حفص بضربها أو تم تداولها على أرض الجزيرة، حيث يمكن الاعتماد على نقوشها في إعداد قائمة بأسماء حكام هذه الأسرة.

وتلعب الحفائر المتتالية التي قامت بها جهات مختلفة في عدة مدن من جزيرة كريت، كهراقليو وريثمنو وخانيا وغيرها، دورا محوريا في الوقوف على العديد من الحقائق الأثرية والفنية والمعمارية -بطبيعة الحال- التي سادت أثناء سيطرة العرب على الجزيرة.

ومن دون شك فإنه يصعب دراسة تاريخ هذه الدولة الإسلامية من دون اللجوء إلى هذه المخطوطة التي تعد شاهدا ودليلا قريبا جدا في تاريخه من الأحداث موضوع البحث، وترجمة

Παναγιωτάκης. N, Ζητήματα τινάτης κατακτήσεως της κρήτης υπό των Αράβων (Discussions about the Arab occupation of Crete), Κρητικά χρονικά, vol 21, Heraklion, Crete 1968, 11.

9Gigouratakis Nikos, Initial remarks on the debarcation point of Abu Hafis Omar on Crete, pp. 74-94.

يوحنا سكيليتزيس هو أحد المؤلفين اليونانيين، ولد قبل إيوآنνης Σκυλίτζη (Greek: Ioannes Skylitizes) المعروف أن 10 سنة ٤٣٣هـ/١٠٤٠م، وتوفي سنة ٤٩٥هـ/١١٠١م. ويعد هذا المخطوط من أهم أعماله، التي تغطي تاريخ الأباطرة البيزنطيين ابتداء من وفاة نقفور الأول سنة ٨١١م حتى عصر الإمبراطور ميخائيل السادس سنة ٤٤٩هـ/١٠٧٥م. وقد استكمل هذا العمل فيما يعرف باسم (صقلية) في Sicily والذي يتناول التاريخ للحقبة من ٤٤٩-٤٧٢هـ/١٠٥٧م-١٠٧٩م، وقد أنتج هذا المخطوط في Scylitzes Continuatus في مدريد، ويحتوي المخطوط على ٥٧٤ صفحة، وقد منه حوالي Biblioteca Nacional de España القرن ٦هـ/١٢م، وهو محفوظ الآن في ١٠٠ صفحة، ويعد هذا العمل هو المخطوط المعاصر الوحيد المصور باليونانية، والباقي من المصادر الأصلية التي أرخت للدولة البيزنطية، انظر:

Flusin. B. (trans.), Cheynet J. C. (ed.), Jean Skylitzès: Empereurs de Constantinople, Ed. Lethielleux, 2004.

-John Wortley, John Scylitzes, a synopsis of histories (811-1057 A.D.): a provisional translation, Centre for Hellenic Civilization, University of Manitoba, 2000.

-Kazhdan Alexander, Oxford Dictionary of Byzantium. Oxford University Press, London 1991. p. 1914. p1914.

- Kipidou. E, 'Η Σύνοψη Ιστοριών του Ιωάννη Σκυλίτζη και οι πηγές της (811/1057) (The History of John Syklitzis and the Sources). Συμβολή στη βυζαντινή ιστοριογραφία κατά τον ΙΑ' αιώνα, Athens 2010

نصوصها لاستخلاص الحقائق التاريخية منها. وهذا ما سيقوم به الباحث؛ لتسطير تاريخ هذه الدولة والمراحل التي مرت بها. أما دراسة تصاويرها ومدرساتها الفنية للوقوف على أهم مميزات هذه المدرسة، وكذلك لمعرفة إن كانت هناك تأثيرات متبادلة بينها وبين مدارس التصوير العربية المعاصرة من عدمه، فليس هذامجال بحثها هنا.

وجاءت هذه التصاوير في تسلسل رائع، يحكي بشكل قصصي تاريخ الأحداث، حيث سجل الفنان بتصاويره دراما الخبر، مفصلاً بنصوصه حقيقة هذه الدراما، التي يمكن تناولها في ما يأتي:

التصويرة الأولى: صور لنا الفنان مجموعة من ستة محاربين أندلسيين في بلاط حاكم الأندلس (لوحة ٢)، طالبين منه الإذن بالخروج للبحث عن أماكن أخرى أكثر ثراء من هذه البلاد التي يعيشون بها^{١١}، ويذكر النص لقب أبي حفص أمير المؤمنين (Απόχαψ)، في إشارة إلى الأمير الذي بيده الأمر والنهي في الأندلس في تلك الحقبة. ويعلق المؤلف أعلى الصورة على المسلمين تحت اسم Ισπανοί أي الإسبان، كما يذكر أن هؤلاء الإسبان قد جاءوا إلى الجزيرة من إسبانيا مباشرة^{١٢}، وهذا ما ثبت خطؤه كما سيتضح فيما بعد. وقد سجل المؤلف العبارة الآتية أعلى التصويرة:

"Τον αμερμουμνιν ι Κέαμπρ οσέρχοτν οι προς χωπροι τ...κε ανώ ά'γααρ(κ) νοί"

وقد ترجمها خريستيذي: " يستأذنون أمير المؤمنين بالهجرة إلى أماكن أكثر ثراء"^{١٣}.

وقد قام المصور بالتعبير عن الأندلسيين من خلال رسم ستة رجال بكامل لباسهم العسكري، ويشتمل على الفلنسة الحربية، والكتافات التي تحمي الأذرع، والقميص الحربي باللون البني والسرراويل الزرقاء، وكلهم حاملين سيوفهم الموجودة في عمادها باللون الأسود. وقد ميز الرسام هنا قائد المجموعة والذي كان يتقدمهم بأنه الوحيد ذو اللحية. ومن خلال وضعية الجنود ووقفاتهم يمكن أن نفهم مدى انتظامهم وذلك لكونهم عسكريين، وكذلك يلاحظ انحناء بسيطة في وقفاتهم تعبيراً عن أنهم في حضرة الخليفة، الذي يجب أن يطأطأوا رؤوسهم عند الوقوف بين يديه، ومن ناحية أخرى حاكم قرطبة جالساً على عرشه تحت مظلة تتسم بالبساطة حال مقارنتها بعروش الأباطرة الرومان التي رسمت في نفس المخطوط. وجاء أبو حفص - على حد ذكر النص الذي يعلو التصويرة- ممداً يده اليمنى في دلالة على مباركته وإذنه لمحاربيه بالانطلاق للسيطرة على البحر المتوسط. ويلاحظ أن أسلوب المصور هنا اعتمد على أسلوب التسطيح في رسومه بصفة عامة، وإن كان قد عبر عن العمق أحياناً كما يتضح من خلال الجندي الرابع الذي يرفع يديه الاثنتين، ويتضح من رسمهما التعبير عن العمق في الصورة. وكذلك عبر عن العمق في الصورة من خلال مداميك الحجر التي تظهر خلف مقصورة القائد.

وتعقيباً على ما ورد في التعليق على هذه التصويرة، نجد أن المؤلف كان لديه بعض اللبس والتشويش، فذكر أن أبا حفص كان أمير الأندلس، فلقبه بأمرير المؤمنين، وهذا ما يخالف الحقيقة حيث كان أمير الأندلس في ذلك الوقت هو الحكم ابن هشام الربضي (١٨٠-٢٠٦هـ/٧٩٦-٨٢٢م)^{١٤}، الذي ثار

11Christides. V, The Conquest of Crete by the Arab, 20

Thurn. H, Ioannis Synopsis Historiarum, Berlin- New York 1973, lines2-10, 42

12Christides. V, the conquest of Crete by the Arab, 22

Makrypoulias. C, Byzantine Expeditions against the Emarate of Crete, Graco-Arabica 7-8, 348-351.

13Christides. V, the conquest of Crete by the Arab, 20.

١٤ البلاذري، فتوح البلدان، تحقيق عبد الله أنيس الطبايع، دار النشر للجامعيين، بيروت ١٩٥٧م، ٣٣٠.

عليه أبو حفص عمر بن عيسى الأندلسي والذي عرف بعد ذلك بالإقريطشي^{١٥}. فقاتلهم الحكم وهدم دورهم، فلققوا بفاس ومنها في جمع منهم إلى الإسكندرية بأرض مصر وذلك في حوالي سنة ٢٠٠هـ/٨١٦م وأسسوا فيها إمارة أندلسية مستقلة عن الخلافة العباسية دامت أكثر من عشر سنوات^{١٦}.

١٥ قام بهذه الثورة أهالي الريض القبلي لمدينة قرطبة (الحي الجنوبي للمدينة) المعروف بريض شقندة Secunda **علي** الأمير الحكم، إثر مقتل أحدهم **علي** يد مملوك للأمير، وقد استشرت هذه الثورة بسرعة بين سكان قرطبة وباقي أرباضها لسخطهم **علي** أسلوب الأمير في الحكم وإقدامه **علي** قتل جماعة من الفقهاء المناوئين له. وكانت ثورة عارمة مما اضطر الحكم لاستخدام أساليب البطش والانتقام من الأهالي حتى تمكن من إخماد ثورتهم. وقد اختلفت الروايات في تاريخ هذه الثورة واستقر الأمر **علي** أن بداية الثورة كان في يوم الأربعاء ١٣ رمضان ٢٠٢هـ/٢٥ مارس ٨١٨م. انظر:

أحمد عبد اللطيف حنفي، المغاربة والأندلسيون في مصر الإسلامية من عصر الولاة حتى نهاية العصر الإسلامي، ج ١، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ٢٠٠٥م، ٩٧-٩٨.

ويقول **المقري**: "كانت له الواقعة الشهيرة مع أهل الريض من قرطبة لأنه في صدر ولايته كان قد انهك في لذاته فاجتمع أهل العلم والورع بقرطبة أمثال يحيى بن يحيى الليثي صاحب مالك وأحد رواة الموطأ عنه، وطالوت الفقيه وغيرهما، فثاروا به وخلعوه وبيعوا بعض قرابته، وكانوا بالريض الغربي من قرطبة، وكل محلة متصلة بقصره، فقاتلهم الحكم فغلبهم واقتروا وهدم دورهم ومساجدهم، ولحقوا بفاس من أرض العدو، وبالإسكندرية من أرض المشرق، ونزل بها جمع منهم، ثم ثاروا بها، فزحف إليهم عبد الله بن طاهر صاحب مصر للمأمون بن الرشيد، وغلبهم، وأجازهم إلى جزيرة إقريطش، فلم يزلوا بها إلى أن ملكها الإفرنج من أيديهم بعد مدة".

المقري، نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، المجلد ١، ص ٣٣٩.

الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٥، تحقيق محمد أبو الفضل، سلسلة ذخائر العرب، دار المعارف، القاهرة ص ١٧٤، ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج ٥، ص ٢١٢، السيد الباز العريبي: الدولة البيزنطية، ص ٢٦٦، العبادي: في تاريخ المغرب والأندلس، ص ١٣٣. محمود شاكر: العالم الإسلامي، ص ٣٠٧. للمزيد انظر:

ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٦، دار الفكر، بيروت ١٩٧٨م، ١١٠-١١١، النويري، نهاية الارب في فنون الأدب، ج ٢٣، تحقيق أحمد كمال زكي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩١٠، ٣٧٠. أحمد مختار العبادي، في تاريخ المغرب والأندلس، مؤسسة الثقافة الجامعية، الإسكندرية، ١٢٨.

١٦ كانت حادثة استيلاء البحريين الأندلسيين **علي** مدينة الإسكندرية وإقامتهم فيها بداية من شهر ذي الحجة سنة ٢٠٠هـ إلى شهر ربيع الأول سنة ٢١٢هـ (يوليو ٨١٦م/ يونيو ٨٢٧م)، التي يفهم من رواية الكندي أنها كانت بمثابة حادث عرضي طرأ **علي** مخططات غزاة البحر هؤلاء البحارة أثناء صراعهم مع البيزنطيين في مراكزهم البحرية في البحر المتوسط. ذلك أنهم كانوا قد اعتادوا أن ينزل بساحل المدينة إثر كل غزوة، لبيتاعا ما يصلحهم، وربما كان استعدادا لغزوة تالية، غير أنهم ظهروا هذه المرة في شكل المعتصمين نتيجة الاستقبال غير الودي الذي قبلوا به.

وبداية الأمر في رجب ١٩٩هـ/ فبراير ٨١٥م، استقرت مراكز هؤلاء الأندلسيين وعددها أربعون مركبا تحمل خمسة آلاف رجل **علي** أكثر تقدير، في المنطقة الساحلية التي تواجه الآن محطة الرمل ليقضوا الشتاء كالمعتاد. وحقيقة الأمر أن الاضطرابات التي سادت العالم الإسلامي في مصر والمشرق الإسلامي إثر النزاع الذي نشب بين الخليفة الأمين وأخيه المأمون، استغلت طائفة الأندلسيين تلك الفوضى ودخلوا طرفا في النزاع، عندما تهيأ لهم المجال للنزول بأرض الإسكندرية والإقامة في برها بدلا من البقاء في سفهم. ودانت الإسكندرية لهم دون منازع في مطلع سنة ٢٠١هـ/ أغسطس ٨١٦م، ورغم أن المصادر قد صممت عن الوجود الأندلسي بالإسكندرية إلا أنه تمكن بعض الباحثين من تصويره بأنه كان يتسم بالشدّة، مما دفع أهل المدينة بالثورة عليهم غير مرة، ولكن قابلهم الأندلسيون بالشدّة وقضوا عليهم. كما يمكن الإقرار بأن الأندلسيين قد اتبعوا النظام الجمهوري في تولي الحكم أثناء تواجدهم بالإسكندرية، واستمروا محافظين عليه حتى آخر من ولي عليهم، قبيل خروجهم من الإسكندرية وهو أبو حفص عمر بن شعيب البلوطي، والذي ولي عليهم بطريق الاختيار. انظر:

أحمد عبد اللطيف حنفي، المغاربة والأندلسيون في مصر الإسلامية من عصر الولاة حتى نهاية العصر الفاطمي، ج ١، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ٢٠٠٥م، ٨١-٨٢.

وقد ظلت الإسكندرية تحت حكم الأندلسيين حت أقبل إلى مصر عبد الله بن طاهر بن الحسين صاحب مصر وعامل الخليفة المأمون بن الرشيد في سنة ٢١٠هـ/٨٢٥م، والذي قام فور استيلاء الأمر بالفسطاط، بالمسير إلى الإسكندرية لطرد الأندلسيين من المدينة، وحاصرها بضع عشر ليلة فاستسلمت وخرج إليه أهلها بالأمان، وطلب الأندلسيون المصالحة، فوافقهم ابن طاهر **علي** ذلك شرط الجلاء عن الإسكندرية إلى "حيث أحبوا" دون أن يأخذوا في مراكزهم "أحدا من مصر ولا عبدا ولا أبقا"، فإذا خالفوا هذا الاتفاق حلت دماؤهم. وبالفعل أرسل ابن طاهر من فتن عليهم ووجد في مراكزهم جمعا ممن اشترط عليهم ألا يخرجوا، إلا أنه لم ينزل بهم العقوبة، بل رجع عن الأمر واكتفى بإحراق مراكزهم، وهكذا أبحر الأندلسيون من الإسكندرية في شهر ربيع الأول سنة ٢١٢هـ/ يونيو ٨٢٧م، بقودهم زعيمهم أبو حفص عمر بن شعيب البلوطي، المعروف بابن الغليظ، من أهل قرية بطروج من عمل فحص البلوط المجاور لمدينة قرطبة.

وقد كان من الطبيعي أن يختار أبو حفص جزيرة كريت أو إقريطش منزلا لرفاقه، لسابق معرفتهم بها خلال مدة تغليبهم **علي** الإسكندرية، حيث مارسوا نشاطا بحريا كبيرا ضد المراكز البيزنطية في الحوض الشرقي للبحر المتوسط، تحقيقا لهدفهم الرئيس من وجودهم بتلك المنطقة. والدليل **علي** هذه الحقيقة وصف ساويرس وهو أحد قساوسة الكنيسة لهم بأنهم " أقاموا **علي** هذه القضية من مصر إلى جزائر الروم ينهبون ويجيبون (كذا) السبي إلى الإسكندرية، وبيعونهم كالعبيد، ويبدو أن هؤلاء الأندلسيين قد اقتصوا جزيرة إقريطش بنصيب كبير من حملاتهم البحرية. ويشير د. عبد العزيز سالم إلى أنهم أرسلوا إقريطش في سنة ٢١١هـ/٨٢٦م، عشر سفن أو عشرين، عادت بكثير من الأسرى والغنائم، بعد أن عرفت المكان معرفة دقيقة^{١٦}. وقد اعتبر بعض المؤرخين أن التوجه إلى كريت كان بمثابة تصحيح لمسار هؤلاء الأندلسيين. كان توتر العلاقة بينهم وبين السلطات في مصر شيئا طارئا، وحادثة فرعية غير ذات مضامين سياسية بعيدة الأثر **علي** العلاقات بين المجتمعات الإسلامية حول البحر المتوسط.

فبعد الخروج إلى كريت استمر التعاون بين مسلمي إقريطش ومصر والشام التابعين لحكومة بغداد العباسية، من أجل القيام بعملياتهم البحرية ضد المراكز البحرية البيزنطية.

وقد كان من الطبيعي أن يختار أبو حفص جزيرة كريت أو إقريطش منزلا لرفاقه، لسابق معرفتهم بها خلال مدة تغليبهم **علي** الإسكندرية، حيث مارسوا نشاطا بحريا كبيرا ضد المراكز البيزنطية في الحوض الشرقي للبحر المتوسط، تحقيقا لهدفهم الرئيس من وجودهم بتلك المنطقة. والدليل **علي** هذه الحقيقة وصف ساويرس وهو أحد قساوسة الكنيسة لهم بأنهم " أقاموا **علي** هذه القضية من مصر إلى جزائر الروم ينهبون ويجيبون (كذا) السبي إلى الإسكندرية، وبيعونهم كالعبيد، ويبدو أن هؤلاء الأندلسيين قد اقتصوا جزيرة إقريطش بنصيب كبير من حملاتهم البحرية. ويشير د. عبد العزيز سالم إلى أنهم أرسلوا إقريطش في سنة ٢١١هـ/٨٢٦م، عشر سفن أو عشرين، عادت بكثير من الأسرى والغنائم، بعد أن عرفت المكان معرفة دقيقة^{١٦}. وقد اعتبر بعض المؤرخين أن التوجه إلى كريت كان بمثابة تصحيح لمسار هؤلاء الأندلسيين. كان توتر العلاقة بينهم وبين السلطات في مصر شيئا طارئا، وحادثة فرعية غير ذات مضامين سياسية بعيدة الأثر **علي** العلاقات بين المجتمعات الإسلامية حول البحر المتوسط.

فبعد الخروج إلى كريت استمر التعاون بين مسلمي إقريطش ومصر والشام التابعين لحكومة بغداد العباسية، من أجل القيام بعملياتهم البحرية ضد المراكز البحرية البيزنطية.

من ناحية أخرى فنجد أن مؤلف المخطوط قد اختلط عليه الأمر أيضا عندما أشار إلى أن هؤلاء البحارة قد طلبوا الإذن من الخليفة الأموي الحكم بن هشام؛ لكي يبحثوا عن مكان آخر أكثر ثراءً للعيش فيه، حيث أثبتت المصادر التاريخية أنهم غادروا قرطبة فرارا من بطش الحكم بن هشام. وهناك أمر آخر يجب التطرق إليه، وهو أن العلاقات الأموية في قرطبة والبيزنطية بالقسطنطينية، كانت علاقات ودية وطيبة، حيث يشير بروفسنال إلى أن الأمير الأموي عبد الرحمن الأوسط (٢٠٦-٢٣٨هـ/٨٢٢-٨٥٢م) قد أنكر في رسالته إلى الإمبراطور البيزنطي ثيوفيلوس (٢١٤-٢٢٨هـ/٨٢٩-٨٤٢م) صلته باستيلاء الأندلسيين على كريت^{١٧}.

وقد تسبب عدم وضوح بعض الكتابات في النص المرافق للصورة في وجود بعض اللبس، وترك مجالاً للتخمينات والافتراضات، وإن كان ثابتاً من خلال النص أن المحاربين قد طلبوا من أميرهم أنيسم لهم بالخروج للبحث عن مكان آخر أكثر ثراءً ولم يحدد مكانا بعينه ويمكن قراءة هذه الفقرة بوضوح: "τῶν πρὸς τὴν 'εὐκειμένων νήσων" ، وبالفعل قد أرسلهم إلى شرق البحر المتوسط ليجتثوا عن مطلبهم، و أثناء بحثهم عن أرض ليهبطوا عليها، وجدوا في جزيرة كريت ضالتهم، ثم وضعها أميرهم أبو حفص هدفاً له، فهاجمها بشكل منتظم حتى استولى عليها. وحسب المصادر العربية أن بداية الهجوم المنظم كانت قد انطلق من الإسكندرية، حيث أبحرت ٤٠ سفينة صوب الجزيرة. وهناك عدم اتفاق على التوقيت الذي بدأت فيه الهجمات، وإن حاول بعضهم حصرها بين سنة ٢٠٦-٢٠٨هـ/٨٢٢ - ٨٢٤م، تبعثها هجمة أخر سنة ٢١٠هـ/٨٢٦م^{١٩}.

ويصور لنا المخطوط السفن الأندلسية مبحرة تجاه جزيرة كريت بشكل تفصيلي (لوحة ٣)، وتصور ثلاث سفن حربية في مياه بحر إيجه، محملة بالأندلسيين وغيرهم من المصريين الذين انضموا للحملة^{٢٠}، وإن كانت بعض المصادر العربية تذكر أن الأندلسيين قد اصطحبوا معهم أسرهم، ولم يسمحوا - على حد قول Tsamakda في تقريره عن القول بأن السفن كانت تحمل محاربين أندلسيين ومصريين، غير مطابق لما ورد بالنص أعلى التصوير^{٢١}.

حيث ذكرت المصادر العربية أن الوالي العباسي عبد الله بن طاهر قد اشترط على الأندلسيين عندما طلبوا منه المصالحة أن يجلوا عن الإسكندرية إلى "حيث أحبوا" دون أن يأخذوا في مراكبهم "أحدا من مصر ولا عبدا ولا أبقا" وإذا خالفوا ذلك حلت دماؤهم^{٢٢}.

وكذلك القول بأن الأندلسيين قد اصطحبوا معهم أسرهم هو أمر يحتاج إلى التدقيق؛ وذلك لأن الأشخاص المصورين على متن السفن، يظهرون بلباسهم الحربي وبكامل عتادهم ولم تظهر أية صور للأطفال أو نساء، وهو أمر بدهي لأناس يبحرون من أجل إيجاد أرض جديدة، ومن ثم فمن المنطقي أن يكونوا في أتم استعداد حتى يتم لهم تحقيق هدفهم ويستقروا بها، ومن ثم يرسلون في طلب ذويهم وليس

١٧ أحمد عبد اللطيف حنفي، المغاربة والأندلسيون، ٩٩.

بروففسنال، الإسلام في المغرب والأندلس، ترجمة السيد عبد العزيز سالم، سلسلة الألف كتاب ٨٩، نهضة مصر، القاهرة ١٩٥٦، ١٠٠-١٠٤.

18Thurn, H, IoannisScylitzae Synopsis Historiarum, Berlin- New York 1973, 42, Line 12.

19Christides. V, the conquest of Crete by the Arab, 89-92.

20Christides. V, The Cycle of the Arab-Byzantine, 25.

21Tsamakdas. V, The Illustration Chronical of IoannesShylitzes. 79.

Christides. V, The Conquest of Crete by the Arab, 89-90.

٢٢ الكندي، ولاة مصر، الهيئة المصرية العامة لتصور الثقافة، القاهرة ٢٠٠١م، ٢٠٤-٢٠٦.

العكس؛ لذا فقد أبحر المحاربون كما هو واضح بالتصويرة، التي ميزت القائد أبو حفص بملابسه الزرقاء والمخالفة لملابس بقية الجنود.

ويصور الفنان على متن المركب الأولى التي يقودها القائد أبو حفص ستة جنود يجلسون بشكل متعاكس ويقومون بالتجديف، وقد عبر الفنان عن الحركة من خلال الأوضاع المختلفة لأجسام الجنود ورؤوسهم، وكذا الطريقة التي عبر بها عن حركة المجاديف. وبصفة عامة استطاع أن يعبر عن العمق في الصورة بحيث يوحي لقراء المخطوط بكثافة السفن من خلال ازدواج مقدمة السفن وكذلك إخفاء جزء من بعض السفن خلف السفن التي تأتي في الصف الأول.

ويصير لزاماً علينا الآن أن نفرّد بعض الفقرات للظروف والأحوال السائدة في البحر المتوسط، حيث كانت هناك بعض الاضطرابات عانتها الدولة البيزنطية خلال إدارتها لجزيرة كريت، مما هيأ الظروف وسهل مهمة أبي حفص للاستيلاء على الجزيرة. حيث صادفت هجمات الأندلسيين على كريت أحداث تمرد Thomas سنة ٢٠٧-٢٠٩هـ/٨٢١-٨٢٣م على الدولة البيزنطية- وهو ما تناوله المخطوط في التصويرة رقم (Fol. 34v, bottom) (لوحة ٤). في الوقت ذاته أجمعت المصادر البيزنطية والعربية على أن مياه البحر المتوسط في هذه الأوقات كانت خالية من أية تواجد لسفن الروم، حيث يذكر ابن عبد البر "وكانت يومئذ خالية من الروم"^{٢٣}، ويطابق هذا ما أورده النص الذي يعطو الصورة حيث يذكر^{٢٤}:

"Του εἰώθωτος φυλ'ατειν στόλου συστράτευόμενου'υ παντές το Θωμ'α..."

وترجمتها: "كل المراكب التي كانت على أتم استعداد للدفاع عن البحر المتوسط قد انحازت إلى جانب ثوماس".

ولم تكن هناك أية سفينة بيزنطية تمنع إنزال أبي حفص لقواته على شاطئ الجزيرة مما سهل من استيلاء السفن الأندلسية على الجزيرة، حيث انحازت كل السفن البيزنطية التي كانت تمثل الخط الدفاعي الأول عن الجزيرة للمتمرد على الإمبراطورية Thomas^{٢٥}، ولم تكن هناك أية مواجهة للأربعين سفينة التي تحمل الأندلسيين^{٢٦}. ويذكر أحد الباحثين أن السفن البيزنطية لم تدمر بعد تمرد Thomas، ودلل على ذلك بأن الأسطول البيزنطي عاود مباشرة الإغارة على كريت فور سقوطها في أيدي الأندلسيين^{٢٧}.

وتأتي التصويرة الثانية لتسجل لنا الظروف السياسية التي صاحبت الهجمات العربية الأندلسية على جزيرة كريت، والتي تمثلت في تمرد Thomas ومعاداته للإمبراطور البيزنطي (لوحة ٥).

٢٣ ابن الأبار، الحلة السيرة، ج١، ٤٥.

24Thurn. H, IoannisScylitzae, 42, Line 16-18.

ومن الواضح أن المسلمين الأندلسيين لم يجدوا مقاومة من قِبل سكان الجزيرة، ولعل ذلك راجع إلى ما يكنه هؤلاء السكان من الكراهية للبيزنطيين بسبب سوء سيرة عمالهم وظلمهم، وبسبب الظلم الضريبي والإداري، ولما اشتهروا به من الهرطقة. وفوجئ الفاتحون بسكان كريت يرحبون بهم؛ لأن اليونانيين كانوا يتعالون عليهم، وأباطرة الرومان يعدّونهم من مواطني الدرجة الثانية؛ فأحبوا العرب الأندلسيين، حيث رأوهم يحترمون ديانتهم ولا يتحدثون عن عيسى - عليه السلام - إلا بكل احترام. ولأنهم أسقطوا عنهم ثلاثة أرباع الضرائب التي كانوا يؤدونها للرومان.

السيد الباز العربي: الدولة البيزنطية، دار النهضة العربية، القاهرة ١٩٦١م، ص ٢٦٦. شاكّر مصطفى: دولة بني العباس، الجزء ٢، وكالة المطبوعات الكويتية، الكويت ١٩٧٣، ص ٣٦٢.

26Christides. V, the Conquest of Crete by the Arab, 89-92.

27Christides. V, The Cycle of the Arab Byzantine Struggle in Crete, Graeco-Arabica 6, Heraklio 2011, p23.

والتصويرية تقدم لنا أحد مراكب Thomas وهي تبحر في مياه المتوسط لملاقاة سفن الإمبراطور لبدء المعركة. هذه المعركة التي قدمت لنا تفاصيلها التصويرية الثالثة، التي جاءت تحت رقم (Fol. 34v) (bottom)، حيث تمثل لنا السفن البيزنطية وهي تحرق سفن المتمردين باستخدام النار الإغريقية^{٢٨}. وقد علق عليها المصور "toskeuastonkaikollutikonpur" كانت كل سفينة تشتمل على صفين من المجاديف فضلاً عن خمسين مقعداً خشبياً طويلاً يسمح الواحد منهم بجلوس اثنين من المجدفين. كان جهاز قذف النار في البداية يوضع في مقدمة السفينة ويتولى المجدف الأمامي بتوجيهها، في حين يتولى زميله إلقاء المرساة الأمامية ورفعها^{٢٩}. وهذا ما لم يعبر عنه الفنان في هذه التصويرية، حيث ظهرت السفينة وعلى متنها عدد قليل من المجدفين، بالإضافة إلى أن السفينة هنا جاءت مزودة بساري خشبي معد لفرد قلوب المركب عند اللزوم وهو نوع جديد من المراكب مختلف عن التي رسمت بالمخطوط.

ويوافقنا Skylitzes بتصويرية حاول من خلالها أن يعبر عن بعض الجهود التي حاول الكريتيون أن يقوموا بها للدفاع عن جزيرتهم التي تكررت عليها غارات الأندلسيون إبان تواجدهم بالإسكندرية (لوحة ٦). ويعلوها تعليق بالحبر الأحمر يمكن قراءته كما يأتي: "Ο μοναχο(ος) Δεικνυ- τον χάνδακα" وترجمتها: أن الراهب يشير إلى الكريتيين أين يحفرون الخندق.

ويظهر بالتصويرية أحد الرهبان حاسر الرأس، يشير بيمنه إلى الجنود الكريتيين الثلاثة عن المكان الذي يجب أن يحفروا فيه الخندق والذي عبر عنه الفنان بتل مرتفع من الأتربة الناتجة عن الحفر. في حين تذكر المصادر التاريخية أن كريت كانت خالية في ذلك الوقت من أية مقاومة تذكر^{٣٠}. وإن ما ظهر في هذه التصويرية يخالف ما ذكر سلفاً عن ترحيب الكريتيين بالأندلسيين^{٣١}.

وبعد رحلة بحرية انطلقت من الإسكندرية صوب جزيرة كريت، بدأ الأندلسيون في تأسيس معسكرهم على أرض الجزيرة. وقدمت لنا التصويرية رقم (Fol.39r) تفصيلاً مهماً وفاضلاً في هذه المرحلة من الصراع للسيطرة على الجزيرة وتأسيس الإمارة العربية على أرض كريت البيزنطية (لوحة ٧). ويذكر النص أن أمير المؤمنين قد وصل إلى "Χάρακι" كما ذكر النص أعلى التصويرية:

٢٨ لعبت النار الإغريقية دوراً مهماً في الصراع البيزنطي الإسلامي من أجل السيادة على البحر المتوسط. فقد أدى ظهورها بوصفها سلاحاً بحرياً في الأسطول البيزنطي في القرن السابع الميلادي (الأول الهجري). ويرجع أصل هذا السلاح إلى الصليبيين من أهل الغرب الأوروبي، فهم الذين أطلقوا اسم "النار الإغريقية" على هذا السلاح. أما البيزنطيون -الذين كانوا يتكلمون اليونانية- فلم يستخدموا هذه التسمية، ربما لأنهم اعتبروا أنفسهم من الرومان على أساس أن دولتهم كانت امتداداً للإمبراطورية الرومانية في الشرق. وكان من المتوقع أن يطلق البيزنطيون على هذا السلاح اسم النار الرومانية، ولكن المصادر البيزنطية استخدمت في معظم الأحيان عدة صفات عند إشارتها له مثل: "النار المصنعة المركبة سريعة الالتصاق" التي تعرف بالنار السائلة γγρό πυρ أو النار البحرية Θαλασσιών πυρ على أية حال، إذا كانت المواد الكيميائية غير المكررة المستخدمة في العصور الوسطى قد مكنت الإنسان من ابتكار أنواع متباينة من الأسلحة الحارقة، فإن الافتقار إلى وجود مصطلح فني محدد لهذا السلاح البحري الحارق في النصوص التاريخية قد ساهم في التشوش والخلط بين النار الإغريقية التي كانت معروفة لهم ولغيرهم من الأمم المعاصرة.

وبتطوير تلك النار البحرية في وقت مناسب مكن الإدارة البيزنطية في عهد الإمبراطور قسطنطين الرابع (٦٦٨ - ٦٨٥م) من تجهيز عدة تشكيلات من السفن التي تحمل مقدماتها قاذفات لهب خاصة وبفضل هذه التجهيزات استطاعت تلك السفن قذف سفن المسلمين بتلك النار البحرية وحرقها. وكان هذا أحد أسباب فشل حصار المسلمين الأول للعاصمة البيزنطية سنة ٦٧٨م / ٥٩هـ، ويتكرر استخدام النار الإغريقية ضد سفن المسلمين أثناء حصارهم الثاني للعاصمة البيزنطية سنة ٧١٧هـ/٩٩م. وكانت السفن الحربية البيزنطية التي تم تجهيزها بقاذفات النار الإغريقية، من طراز دورمون dromon أي العداء.

Encyclopædia Britannic, "Greek Fire". 1911. Spears, W.H., Jr. (1969). Greek Fire: The Fabulous Secret Weapon That Saved Europe, 3-7.

29Theophanes, The Chronicle of Theophanes Confessor, Oxford University Press, 1997.

٣٠ ابن الأبار، الحلة السيرة، ٤٥.

٣١ السيد الباز العربي: الدولة البيزنطية، ص ٢٦٦. شاكر مصطفى: دولة بني العباس ص ٣٦٢.

"Ὁ αμερμουμν κε Χάρακι Νκίωέμβαι κ'παρεμβλίνπυξας. Τον έαντονστόλνά πανκατίφλεξέ".

وقد سجل أعلى أبو حفص ما يأتي: "Τό παρακαψ ουδε μιάς" وهي تعني "احرقوا المراكب". ويظهر قائد الأندلسيين أبو حفص على عرشه، وخلفه أحد التلال التي عبر بها الفنان عن طبيعة المنطقة التي نزلت فيها القوات الأندلسية على أرض الجزيرة، ويحيط بأبي حفص اثنين من جنوده أحدهم يحمل سيفاً والآخر ممسكاً بحربة، وأمامه بعضاً من جنوده الذين يضرمون النيران في مراكبهم الحربية، وربما كان ذلك دلالة على أنه لا عودة مرة أخرى، فالعدو أمامكم والبحر من خلفكم، بدون حتى مراكب لتهربوا فيها، وهذا نوع من التحضير النفسي وإشعال الهمم لدى محاربيه، على غرار ما فعل طارق بن زياد عندما وطأت قدماه أرض الأندلس.

وأفادت المصادر البيزنطية في ذلك الوقت عن وجود رده فعل قوية داخل المعسكر البيزنطي نتيجة لنجاح الأندلسيين في تأسيس قاعدة حربية معادية في مدينة خاندقاس، وأن ذكرت أن ردة الفعل هذه قد اتسمت بعدم التنظيم، مما أدى إلى فشلها، ومن ثم عاود البيزنطيون الكرة بإرسال أسطول بحري آخر انطلق من القسطنطينية بقيادة Protaspatharius قائد الأناضول³²، في سنة 825-826م، وقد كتبت المصادر عن مدى قوة هذا الأسطول، حيث يذكر Thurn : "Μετά πολλής δενάμεως και παρασκευής"³³. وقد كان ذلك بعد وصول الأندلسيين إلى الجزيرة مباشرة وقبل استكمال التوغل في الجزيرة³⁴.

وهنا نجد محوراً آخر للنقاش في هذا السياق، وهذا المحور يتبلور في الإجابة على التساؤل عن النقطة التي نزل عليها الأندلسيين عندما وصلوا إلى الجزيرة، ومن ثم يجب البحث بين طيات المصادر واستقراء الشواهد الأثرية المادية، والاعتماد على كافة الأدوات للإجابة عن هذا الأمر. فمن المهم جداً معرفة نقطة البداية التي يمكن الاستهلال بها عند الكتابة عن التطور التاريخي للإمارة العربية في جزيرة كريت، تلك الإمارة التي تناولتها المصادر التاريخية بشيء من الغموض والتضارب، وربما كان ذلك نتيجة للأهواء الشخصية للمؤرخين لعكاساً لمعتقدات كل منهم. ومن ثم توفر طابع العداوة بين المعسكرين لا على المستوى العسكري فحسب، بل يفوقه إلى المستوى الثقافي أيضاً؛ لذلك كان من الضروري توخي الحذر عند النقل عن أي من هذه المصادر، وكذلك كان لزاماً للبحث عن طرف ثالث يؤكد لنا أو ينفي هذا الرأي أو ذاك. وقد نجد ضاللتنا فيما بين أيدينا من شواهد أثرية يمكن من دون شك الاعتماد عليها للتأريخ والإجابة عن بعض التساؤلات التي يطرحها النقاش حول هذا الموضوع، الذي عدّ نقطة الانطلاق لبناء دولة عربية إسلامية تمكنت من البقاء لمدة قاربت القرن ونصف من الزمان، وليس ذلك فحسب، بل فرضت سيطرتها على العديد من الجزر الأخرى من البحر المتوسط³⁵.

وقد أمدتنا المصادر البيزنطية بإشارة واضحة عن نقطة إنزال القوات الأندلسية على أرض الجزيرة، وهي منطقة خاراكاس "Χαρακάς"³⁶، هذه المنطقة التي تشير إليها المصادر أنها كانت معسكراً كبيراً، وإن لم يصلنا منها أية أثر مادي في وقتنا الحالي يمكن الاستدلال منه على المكان بشكل

32Thurn. H, IoannisScylitzae, line 43, p54.

33Thurn. H, IoannisScylitzae, line 43, p59.

34Makrypoulias, Byzantine Expeditions, 350.

35Christides. V, The Cycle of the Arab Byzantine Struggle, 25.

36Genesisios. V, On the Reign of the Emperors, ByzantinaAustralien 11, 46, Canberra 1998. 13-15.

محدد والتي حددها الجغرافيون أنها كانت في خليج سودا "Σούδα"^{٣٧}، وذلك بناء على ما ذكره المؤرخ الإنجليزي Gibbon، سنة ١٧٧٨م، معتمدا على قول المؤرخ Pierre Belon du Mans الذي زار الجزيرة سنة ١٥٤٨م، وحدد مكان المعسكر بخليج سودا^{٣٨}.

أما المصادر العربية فقد حددت مكانا آخر لنقطة إنزال أسطول أبي حفص عمر على أرض الجزيرة، حيث ذكر النويري أن المكانان يسمى "بوليس"، ومنها انطلقوا إلى مدينة خاندقاس نسبة إلى الخندق الذي حفره حول المدينة^{٣٩}. وهي وسيلة دفاعية يمكننا رؤيتها في كل معظم المدن البيزنطية.

بذلك نجد أن التضارب واضح بين المصادر العربية والبيزنطية في تحديد محطة وصول الأندلسيين على أرض الجزيرة؛ لذلك كان لا بد من البحث عن استراتيجية جديدة للوقوف على حقيقة الأمر^{٤٠}، وتكمن هذه الاستراتيجية في البحث في الدليل المادي الملموس المتمثل في:

١- دراسة البيانات والمعلومات المستمدة من الخرائط القديمة لهذه المنطقة.

٢- الاعتماد على نتائج الحفائر في المنطقة والمناطق المجاورة لها.

ولحسن الحظ يحتفظ الأرشيف الوطني اليوناني بعدد من الخرائط التي رسمت للبحر المتوسط إبان القرن السابع عشر الميلادي. وترجع إحدى الخرائط لـ Francesco Basilicata^{٤١} (خريطة ٢)، ويحدد فيها المكان الوحيد الصالح لرسو السفن باسم Characa. أما الخريطة الثانية فتعود إلى أعمال Giovanni Ballista Cavallini^{٤٢}، وهذه الخريطة أطلقت على المنطقة اسم Caraca، أما الخريطة الثالثة فتعود إلى Marco Boschini^{٤٣}، وعرفت فيه الميناء أيضا باسم Caraca.

هذا المكان قد سبق وأن حددته المصادر البيزنطية بالشاطئ الجنوبي لـ Viannos، وهو نفسه الذي حددته الخرائط باسم Caraca أو Characas، وهذا الموقع يقع بين شاطئ Dermatos وشاطئ Keratocampos، مارا بالوادي الصخري للشاطئ الذي يظهر دائما في خرائط الفينيقيين، وهو المكان نفسه الذي وجدته سفن الأسطول الإنجليزي مناسبا لاستقبال سفن أسطولهم البحري أثناء الحرب العالمية الثانية^{٤٤}.

أما المحور الثاني الذي يمكن استخدامه لحل هذا الغموض والجدل الدائر حول تحديد نقطة التي رست فيها مراكب أبي حفص، يتمثل في ما تم العثور عليه في الحفائر التي أجريت سنة ٢٠٠٣م بالقرب من البازيليكا المبكرة في Tsoutsouros، حيث تم العثور على نقش باللغة العربية على شاهد قبر عليه كتابات بالخط الكوفي، تمدنا باسم أحد المسلمين يدعي عبد الله بن عمر بن الحكم، مؤرخ بسنة ٧١٦م، مما يجعلنا نعتقد أنهذ المكان ربما كان مستقرا للجنود المسلمين الذين عادوا إلى الجزيرة بعد

37 Παναγιωτάκης Ν, Ζητήματα της κατακτήσεως της Κρήτης υπό των Αράβων, Crete 1960, 30.

38 Gigourlakis. N, Initial Remarks on the Debarkation Point of Abu Hafz Omar's Arabs on Crete, Graeco-Arabica, Heraklion, Crete 2011, 76-77.

٣٩ ابن الداية، المكافأة، تحقيق محمود شاكر، بيروت ١٩٩٨، ١٣٢-١٣٣.

Christides. V, The Conquest of Crete by the Arab, 17.

40 Gigourlakis. N, Initial Remarks on the Debarkation Point, 74-94.

41 The administrative district of Candia in the 1636/38 collection), Bibl. Communal, mss A. 2849, see: Christos Zacharias, Κρήτης Νήσου Θεσις 1477-1800, Μικρός Ναυτίλος 2004, 112-113.

42 Livorno 1642, MIET 736.

43 Venice 1651, MIET, Zach 394.

44 Gigourlakis. N, Initial Remarks on the Debarkation Point, 74-94.

فشل الحصار الذي فرضه المسلمون على القسطنطينية سنة ٧١٥هـ/٧١٨م^{٤٥}، وهذا ما يؤكد Sanders عندما ذكر أن هذا الشاطئ تحديداً قد أقامت فيه القوات الإسلامية^{٤٦}.

وتذكر بعض الدراسات أن البيزنطيين عند عودتهم إلى الجزيرة بعد انتصارهم على الأندلسيين سنة ٩٦١م، قاموا بتحسين المنطقة المشار إليها من خلال قلعتي Rizokastro و Castle Keraton، التي أطلق عليها مؤخرًا قلعة Belvedere، وهذه الشبكة الدفاعية البيزنطية تعكس أهمية هذه المنطقة بوصفها نقطة دفاعية للجزيرة كلها^{٤٧}.

ومن خلال هذه الخرائط والأدلة الأثرية يمكننا القول بأن Characas أو Caracas والتي يطلق عليها باليونانية Χαράκας كانت هي النقطة التي أنزل عليها القائد أبو حفص قواته البحرية وانطلق منها للسيطرة على باقي الجزيرة.

ومن خلال النص المسجل أعلى التصوير رقم (fol. 39r) يمكن قراءة كلمة Χαράκι (Caracas) بكل وضوح، مما ينهي حالة الجدل التي دارت حول تلك النقطة التي نزلت فيها قوات أبي حفص على أرض الجزيرة. وربما تكون هذه المسألة من أهم النتائج التي يمكن لنا أن نستشفها من دراسة تصاوير ونصوص هذا المخطوط.

ويتابع المخطوط سرد تفاصيل الصراع العربي البيزنطي من خلال التصوير رقم (39v top)، تسجل أحداث المعركة الدائرة فور وصول العرب إلى أرض الجزيرة، حيث قامت القوات البيزنطية بقيادة ديميانوس، وانتهت المعركة بهزيمة البيزنطيين ومقتل قائدهم. فأتبع البيزنطيون هذه المحاولة الفاشلة بكرة أخرى سنة ٨٢٦م بقيادة Kraterus الذي أوفده ميخائيل الثاني (٨٢٠/٨٢٩م)^{٤٨}. وطبقاً لما سجله Skylitzes فإن القائد البيزنطي قد وصل الجزيرة برفقة سبعين سفينة حربية، حيث تمكن من هزيمة الأندلسيين.

ويسجل المصور لنا المحاولة الكبيرة التي قام بها البيزنطيون لاسترداد الجزيرة من الأندلسيين، وكان ذلك من خلال ثلاث تصاوير مهمة، تكمن أهميتها في أنها قامت بتصوير هذه الحملة من البداية إلى النهاية بشيء من التفصيل، الذي يعكس أهمية هذه الحملة في استراتيجية الصراع على الجزيرة:

أ- التصوير الأولى (لوحة ٩ أعلى) والمسجلة برقم (fol 40v. top. Fig 8) تقدم لنا القوات البيزنطية بقيادة Kraterus الذي يظهر مقبلاً في مقدمة قواته مشهراً سيفه، وبالرغم من أن Kraterus لم يسجل اسمه إلا أنه بالسهولة بما كان أن نميزه من خلال ملابسه المختلفة عن باقي الجنود، بالإضافة إلى أنه وضعه المصور في مقدمة قواته، ومن خلفه عدد من الجنود المسلحين بأسلحة متنوعة ما بين السيوف وأقواس السهام والحراب. ومن خلفهم مراكبهم التي نزلت على شواطئ الجزيرة، وسجل عليها المؤلف كلمة ρωμαίοι (الروم). وأمام هذا الاندفاع

45Christides. V, The Image of Cyprus in the Arabic sources, Lefkousia 2006, 55-56.

46Sanders. J.F, Roman Crete, London 1983, 151.

47Gigourlakis. N, Initial Remarks on the Debarkation Point, 85.

Gigourlakis. N, Οχυρώσεις στην Κρήτη κατά τη Βυζαντινή περίοδο 961-1206, (The Fortifications of Crete in B Byzantine period 961-1206 AD), MA in Crete University, Crete 2004, 35-65.

48Makrypoulis. Ch, The Byzantine Expeditions, 151.

من قوات Kraterus فر الأندلسيون أمامهم مابين قتيل وجريح، وعبر عن ذلك برسم عدد من الجثث الملقاة على الأرض.

ب- التصوير الثانية (لوحة ٩ أسفل) (fol. 40v. bottom. Fig 9)، تقدم لنا المعركة التي دارت بين قوات أبي حفص والبيزنطيين المهزومين، حيث جعلوهم يفرون من أمامهم كما سجلت التصوير السابقة. والحقيقة أن الفنان هنا قد نجح في التعبير عن المفاجأة التي قامت بها قوات أبي حفص، حيث هاجموهم ليلاً وهم يحتفلون بالنصر. ويظهر الأندلسيون بكامل أسلحتهم مندفعين تجاه القوات البيزنطية، وثمة تعليق أعلى رؤوس الجنود يقرأ: "Κρήτες φονεύουσι: ... τους ρωμαίους τον (الكريتيون يغيرون ويقتلون الروم). في حين سجل أعلى المعسكر البيزنطي (الروم) أسفل أحد التلال، ويظهر من خلال التصوير حالة الهرج والرعب التي أصابت البيزنطيين.

ت- وتُظهر الصورة (لوحة ١٠) (fol. 41r, top. Fig 10) التحام الأندلسيين بالبيزنطيين بشكل عنيف، بحيث يمكن من النظرة الأولى إدراك مدى شراسة المعركة، التي سقط فيها العديد من القتلى من الجانبين، وعُبر عنها بإلقاء الجثث من الجانبين. وعلى الجانب الأيمن عبر الفنان عن نتيجة المعركة التي انتهت بصلب القائد البيزنطي Kraterus على عمود خشبي، وعلق عليها بكتابة كلمة "ξύλωκρεμάση" (الشنق)، والحقيقة أن الصورة تظهر شراسة هذه العقوبة، حيث علق الأندلسيون القائد Kraterus مكتوف الأيدي من الخلف على سارية خشبية، ويقوم بتنفيذ الإعدام ثلاثة جنود يشدون الحبل ليصل Kraterus إلى نهاية السارية، في حضور عدد كبير من الجنود الأندلسيين.

وفي عصر ميخائيل الثالث (٨٢٤-٨٦٧م) قامت البحرية البيزنطية بمحاولة لإعادة السيطرة على الجزيرة بقيادة Logotheles Theoctistus، حيث قاد أسطولاً بحرياً في ١٨ مارس سنة ٨٤٣م حسب المصادر البيزنطية^{٤٩}، ولدينا القليل من المعلومات عن هذه الحملة في المصادر البيزنطية، التي ذكرت أن هذه الحملة بقيادة Theoctistus قد وصلت إلى أرض الجزيرة بدون مقاومة تذكر، مما أدى إلى تقدم المعسكر البيزنطي على العرب، وفجأة وبدون مقدمات انسحبت القوات البيزنطية، وقرر قائدها العودة إلى القسطنطينية، مما تسبب في خسائر ضخمة في صفوف المعسكر البيزنطي، وتولى بعده Magister Sergius قيادة الجيش البيزنطي في كريت وتوفي أثناء قيادته لهذه الحملة^{٥٠}.

وقد تناولت المصادر العربية أنباء هذه الحملة على القوات العربية بكريت، حيث ذكر ابن الداية - المتوفي سنة ٩٤١م، ومن الشهود العيان على الأحداث- أن القوات البيزنطية قد استطاعت تكوين جبهة عسكرية قوية حاصرت بشكل كبير القوات العربية داخل أسوار قلعة خاندقا، حيث عانى العرب من قلة المؤن، ولو استمر الحصار لتمكن البيزنطيون من الانتصار، لولا القرار المفاجئ بفك الحصار، ويذكر ابن الداية أيضاً أن القائد الأرثوذكسي قد قتل^{٥١}، ولسوء الحظ أن حصار القوات البيزنطية لقلعة خاندقا، بقيادة Theoctistus لم يصور ضمن مخطوطة Skylitzes.

49Makrypoulas, Ch, The Byzantine Expeditions, 351.

Vasiliev, A, La dynastie de Amorium 820-867, in Byzance et les Arabes, vol I, Brussels 1935, 194-195.

50Vasiliev, A, La dynastie de Amorium 820-867, 195.

٥١ ابن الداية، المكافاة، ١٣٢-١٣٣.

وقد ذكرت المصادر التاريخية عددًا من المحاولات لإعادة الجزيرة إلى حظيرة الإمبراطورية البيزنطية مرة أخرى، ومنها محاولة بقيادة ميخائيل الثالث في سنة ٨٦٦م بقيادة Caesar Bardas، الذي قتل قبل وصوله إلى شواطئ الجزيرة^{٥٢}. وكذلك قامت القوات البيزنطية بأوامر من ليو السادس (٨٨٦-٩١٢م)، ولم تنجح في إحراز أي تقدم^{٥٣}. كما ذهبت بنا المصادر التاريخية بمحاولة أخرى سنة ٩٤٩م بقيادة Gongyles، قبل قيام Nicephorus Phocas - حاكم الولايات الشرقية من الإمبراطورية - بإعادة الجزيرة إلى العباءة البيزنطية^{٥٤}.

أما التصويرة (لوحة ١١) فقد صورت لنا بشكل تفصيلي لمهاجمة القوات العربية لقوات Gongyles معلقا عليها بـ "Άγαθηοί τρέπουσι τους ρωμαίους και σφάζουσι"، حيث رسمت الجزيرة في شكل تل كبير، عن يساره أسطولا مكونا من ست مراكب حربية في صفوف منتظمة، وأسفل التل عدد من الجنود البيزنطيين يهرولون تجاه مراكبهم، وفي وسط التصويرة نجد عدة صفوف متتالية من الجنود تظهر قلنسواتهم باللون الأصفر، حاملين دروعهم متجهين نحو سفنهم^{٥٥}. ويظهر المقاتلون الأندلسيون مميزين بأغطية رؤوسهم البيضاء، ودروعهم مرسومة باللون الأصفر. وقد عبر الفنان عما دار في المعركة من قتال من خلال رسم عدد من القتلى البيزنطيين الذين ميزهم بقلنسواتهم الحربية أسفل التصويرة.

هكذا ظلت المحاولات التي استمرت من بداية نزول العرب الأندلسيين إلى أرض الجزيرة في ٨٢٤م، إلى أن كانت المحاولة الأخيرة سنة ٩٦١م، وهي السنة التي قام فيها Nicephorus Phocas باسترداد الجزيرة بكاملها تحت السيطرة البيزنطية، مما أدى إلى تغير موازين القوى في الصراع العربي البيزنطي^{٥٦}.

وقد كان لهذه المحاولة الكثير من الاهتمام من قبل مؤلف المخطوطة موضوع البحث، حيث أفرد لها ثلاث تصاوير تحكي مراحل الانتصار على العرب منذ سنة ٩٦٠-٩٦١م، موثقا هذه التصاوير بسطور تسجل الصفات الحميدة لهذا القائد، وممجدا لأعمال جيشه القوي، الذي حقق سلسلة من الانتصارات للإمبراطورية البيزنطية^{٥٧}.

وزودنا المخطوط -بشكل تفصيلي- بمعلومات عن المعسكر الذي أسسه Nicephorus Phocas - وهو ما أطلق عليه characas (Χάραξ) وهي المنطقة التي نزلت عليها قواته - أمام خندق المدينة العربية-، حيث قام ببناء سور ضخم حولها محاط بخندق كبير لإتمام الخناق على العرب داخل أسوار

52Makrypoutias. Ch, The Byzantine Expeditions,352.

53Jenkins. R, The Imperial Centuries 610-1070 AD, New York 1969, 210.

Makrypoutias. Ch, The Byzantine Expeditions,352.

54Khristidakis. S, Η Εκκλησία της Κρήτης κατά την Αραβοκρατία (824-961μχ)(the church of Crete in the age of Arab Emirate 824-961 AD, Graeco-Arabica, vol. 11, 59.

55Katerina Karapli, Κατεύοδοσις Στρατού (The Send of the Army), Athens 2010, 97.

٥٦ كان ذلك في عصر الخليفة العباسي المطيع (٩٤٦-٩٧٤م)، والإمبراطور البيزنطي رومانوس الثاني ابن قسطنطين (٩٥٩-٩٦٣م)، وكانت بداية الحملة في نهاية جمادى الأولى ٣٤٩هـ/ ٢٨ يوليو ٩٦٠م. وتذكر المصادر أن قوات Nicephorus Phocas في هذه الحملة قد بلغت ٧٢,٠٠٠ محارب، منهم ٥,٠٠٠ فارس، تحركت كلها لمحاصرة الجزيرة. للمزيد: النعمان القاضي، المجالس والمسائرات، تحقيق حبيب الفقي، تونس ١٩٧٨، ٤٤٦-٤٤٧.

57Gigourtakis. N, Ο Νικηφόρος Φωκάς και η Κρήτη (Nicephorus Phocas and Crete), Herakleion 1988, 83.

المدينة^{٥٨}، وهكذا يكون الجيش البيزنطي قد حصن معسكره بشكل قوي ضد هجمات العرب، مستفيدا من كل دروس الحملات السابقة.

وتقدم التصويرة تحركات الجيش البيزنطي (لوحة ١٢)، فأظهرت الجزيرة على شكل تل كبير - وهي تشبه التصويرة التي سجل بها المصور حملة Gongyles -، وإلى أقصى اليمين من التصويرة شغلت الحصون والقلاع العربية جانبا كبيرا منها، والتي نجح إلى حد كبير في تصوير مدى قوة وضخامة هذه التحصينات، ويحيط بهذه الأسوار صفوف من الجنود البيزنطيين المسلحين بالسيوف والدروع وأمامهم عدد من الخيام، وإلى اليسار من التصويرة نجد خمسة سفن حربية تقف في صف واحد وهي خالية من الجنود للدلالة على عملية الإبرار البحري الذي قامت به القوات البيزنطية على أرض الجزيرة.

ونجد أنالفنان قد سجل بعض الملاحظات باليونانية على الأحداث المصورة، يمكن قراءة بعض الجمل، ومنها على سبيل المثال: "καὶ τὰ φρούρια ἐχειρώσατο....." (حصون الأعداء...)، وبها يشير إلى حصون العرب الذين يمثلون أعداء الدولة البيزنطية، والتي سقطت فيما بعد، وسجل لنا في إشارة أخرى بكلمة: "Ῥωμαῖοι κ.φωκα.νικυφόρ....." (الروم وفوقا نقفور.....)، مكتوبة أعلى القوات البيزنطية، ولم يكتب أية تعليقات أعلى القوات العربية، معتمدا على أنه قد أشار إليهم داخل الحصون.

ونجد المصور قد عبر عن الأسطول البيزنطي برسم خمس سفن خالية من الجنود الذين غادروها ليعسكروا أمام الخندق والحصن الذي أقامه نقفور، ويقف الجيش البيزنطي في عدة صفوف عبر عنها من خلال رسم الفلنسوات التي يرتديها الجنود المصطفون بدروعهم الحربية خلف ثلاث خيام، ذات ألوان مختلفة. أما في ما يخص الحصن فيتضح من مظهره العام الطابع الحربي الذي عبر عنه المصور برسم الشرفات الحربية، التي اعتاد أن يستخدمها في رسوم المعارك الحربية وحصار المدن التي جاءت في سياق المخطوط نفسه.

أما التصويرة الأخيرة التي تسجل لنا الحلقة الختامية من مراحل الصراع الحفصي البيزنطي على جزيرة كريت (لوحة ١٣)، فتأتي تحت رقم: (Fig. 358- Fol. 145r)، وهي تسجل الاحتفالات البيزنطية بانتصارات قواتهم بقيادة NicephorusPhocas واسترداد الجزيرة بعد كل هذه السنوات، وتصور كيفية استقبال قائدهم استقبال الفاتحين، حيث يظهر القائد ممتطيا صهوة جواده ومن خلفه اثنين من حراسه، وفي استقباله التشريفات الملكية بالأغاني والموسيقى، فتسجل لنا لحظة دخوله من البوابة الذهبية لمدينة القسطنطينية.

فقد قام NicephorusPhocas بأسر الكثيرين من الأندلسيين، كما وقع أميرهم عبد العزيز بن شعيب حفيد أبي حفص عمر وأخذ أسيرا إلى القسطنطينية. وتذكر المصادر العربية أن قائد البيزنطيين قد أخذ حوالي ٣٠٠ سفينة محملة بالغنائم والأسرى إلى القسطنطينية، بعد أن دمر المدينة وأبنيتها وألقى بحجارتها في الميناء ليمنع الأعداء من استخدامها بعد ذلك^{٥٩}.

58Thurn, H, IoannisScylitzae, line.19, 249.

٥٩ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج١، بيروت ١٩٧٩، ٢٣٦، مدخل: إقريطش.

مما تقدم يمكن الوقوف على العديد من جنبات تاريخ الإمارة العربية التي أسسها أبو حفص عمر منذ ٨٢٤م، وخلفه سلسلة من أبنائه وأحفاده، الذين كان آخرهم عبد العزيز بن شعيب الذي هزمته القوات البيزنطية سنة ٩٦١م. إن مصادر الدراسة - في الحقيقة - سواء أكانت مخطوطة *The Synopsis Historiarum of Ioannes Skylitizes*، أم كانت الخرائط القديمة التي تم إعدادها في القرن السابع عشر لجزيرة كريت، لا شك في أنه قد سلط الضوء على الكثير من الجوانب الحضارية والعسكرية، وكذلك على بعض حلقات الصراع الإسلامي البيزنطي لفرض السيطرة على منطقة حوض البحر المتوسط منذ وقت مبكر. لكن يمكن القول بأن الدراسة قد يعوزها المصدر الذي يمكن أن يعطي بعض التفاصيل الأدق والأوسع، للتسلسل السياسي لهذه الدولة الإسلامية التي يمكن أن نصلها ثاني أكبر دولة إسلامية في أوروبا بعد الخلافة الأموية بالأندلس. لذا أتوقع بأن أجد ضالتي حال الرجوع إلى ما تم العثور عليه من المسكوكات التي تُدوّن لت في الجزيرة إبان حكم أسرة بني حفص في المدة من ٨٢٤-٩٦١م. لذا أثرت أن أتناول الإصدارات النقدية، لإعداد قائمة بأسماء حكام الجزيرة من أسرة بني حفص، وكذلك إلقاء الضوء على الأحوال السياسية من خلال مسكوكاتهم التي عثر عليها أثناء أعمال الحفائر التي أجريت منذ أكثر من ٦٠ عاما وحتى اليوم، فهذه المسكوكات تعد من الدلائل والشواهد الأثرية غير القابلة للشك أو الطعن فيما تقدمه من معلومات تاريخية وسياسية.

إن أهمية المسكوكات - حقيقة - وما تقدمه من معلومات أكيدة، كانأمرًا غير خاف عن أصحاب الأعمال السابقة التي تناولت مسكوكات بني حفص في جزيرة كريت، فلا عجب أن نرى العديد من عمداء علم المسكوكات في العالم يفردون لها الأبحاث بشكل تفصيلي، إدراكا منهم بأهميتها في دراسة تاريخ الأمم.

ويأتي على رأس هؤلاء الذين تناولوا مسكوكات بني حفص بالدراسة العالم ^{٦٠} Walker. J، وكذلك ^{٦١} Miles. G، حيث تناول Walker. J سنة ١٩٥٣م، في مقاله عن نقود الأمراء العرب بجزيرة كريت، ووضع من خلاله الأساس والمرجع الرئيس لدراسة تاريخ هذه الجزيرة. أما Miles. G فقد أفرد دراسة كاملة لما تم العثور عليه في الحفائر التي قامت بها المدرسة الأمريكية للدراسات الكلاسيكية في كلا من أثينا وكورنثيا، وأخرج لنا مؤلفا كبيرا تم نشره سنة ١٩٧٠م، وأمدنا فيه بقائمة مفصلة بأسماء حكام كريت، وأنواع العملات بشكل يفيد البحث في هذا المجال بدرجة كبيرة. ومن خلال هذه الدراسات يمكن الحصول على تسهيلات كبيرة للوقوف على الظروف الاقتصادية والسياسية والتاريخية التي مرت بها كريت إبان حكم الأمراء العرب لها.

ولقد أسفرت أعمال الحفائر في الجزيرة من استخراج عدد كبير من النقود التي ضربها أمراء بني حفص، وتنوعت فئات هذه العملات إلى عشرة دنانير ذهبية (لوحه ١٤) وثلاثة أرباع درهم من الفضة، و٢٥٦ فلس نحاسي.

وتتمت دراسة مسكوكات الأمراء العرب التي عثر عليها من قبل Mazarakis. A وقام بتقسيمها حسب المادة التي ضربت منها، وجد أن الدنانير قد أصدرت في حقبين أساسيين: الأولى امتدت من

⁶⁰ Walker. J, *The Coins of the Amirs of Crete*, Numismatic Chronicle 1953, 125-130.

⁶¹ Miles. G, *The Coinage of the Arab Amirs of Crete*, A.N.S 1970.

٢٧١هـ/ ٨٨٤م إلى ٢٨١هـ/ ٨٩٤م، والثانية من ٣٣٧هـ/ ٩٤٨ إلى ٣٤٣هـ/ ٩٥٤م، وذلك يعني أنه لن يصلنا لأية نقود ذهبية لمدة ٤٥ عاماً^{٦٢}.

أما النقود الفضية، فقد أصدرت بأعداد قليلة، خلال المدة ٣٢٦-٣٥٠هـ/ ٩٣٧-٩٦١م، وهي تشبه إلى حد كبير النقود الفضية المتداولة في شمال إفريقيا من حيث العيار والوزن.

وهناك فلان من النحاس يحملان اسم الخليفة العباسي في بغداد، وهو المتوكل (٨٤٧-٨٦١م)، وقد ضربهما أبو حفص عمر بن عيسى، واعتماداً على اسم الخليفة فإن هذا الفلّس قد ضرب بعد ٨٤٧م، وهذا يعني أنه من الأكيد أن كريت قد بدأت بضرب النقود بعد سيطرة بني حفص عليها بحوالي ٢٣ سنة على الأقل، وإن كنا لا نستطيع أن ننفي ضربها للنقود في تاريخ سابق.

يهننا من هذه الإطالة السريعة على طبيعة أنواع النقود التي وصلت إلينا من ضرب أمراء دولة بني حفص، والتي تحتفظ بها إحدى المجموعات الخاصة في أن نستخدمها شاهدًا أثرياً عندما نحاول أن نعد قائمة بأسماء الحكام الأندلسيين لجزيرة كريت الذين ضربت النقود بأسمائهم وهم كما يأتي:

٨٢٧-٨٥٥م		أبو حفص عمر البلوطي
٨٥٥-٨٨٠م		شعيب بن عمر
٨٨٠-٨٩٥م		أبو عبد الله عمر الثاني بن شعيب
٨٩٥-٩١٠م		محمد بن شعيب
٩١٠-٩١٥م		يوسف بن عمر الثاني
٩١٥-٩٢٥م		علي بن يوسف
٩٢٥-٩٤٠م		أحمد بن عمر الثاني
٩٤٠-٩٤٣م		شعيب الثاني بن أحمد
٩٤٣-٩٤٩م		علي بن أحمد
٩٤٩-٩٦١م		عبد العزيز بن شعيب الثاني

وهنا لا بد أن نذكر حقيقة أنه لولا الاعتماد على المسكوكات بوصفها مصدرًا من مصادر كتابة تاريخ هذه الدولة، لوجدنا صعوبة كبيرة في إعداد هذه القائمة، خاصة أن المصادر العربية والبيزنطية تقتصر إلى عمل مستقل بذاته عن الجزيرة وتاريخها في الحقبة موضوع الدراسة، على غرار ما تعودنا عليه من كتابات السير وتاريخ الدول عبر العصور الإسلامية المختلفة.

وبعد استعراض هذه الأدلة الأثرية التي تؤرخ للإمارة العربية في كريت، نجد أنها تتمثل في مخطوط معاصر اشتمل على خمس عشرة تصويرة تحكي لنا حلقات سلسلة عن تاريخ الصراع الإسلامي البيزنطي في البحر المتوسط، وكذلك نجد العديد من الخرائط التي أعدها الفينيقيون وبحارة القرن السابع عشر للجزيرة، والتي تمكنا من خلالها تحديد النقطة الأولى، التي رست فيها سفن أبي حفص على أرض الجزيرة وهي منطقة Characas، والتي انطلقوا منها للسيطرة على باقي مدن الجزيرة.

62Mazarakis. A, The Coinage of the Amirs of Crete in a Private Collection.

وكذا مسكوكات القرنين الثالث والرابع الهجريين، التي من خلالها أمكن التوصل إلى قائمة نهائية لحكام الجزيرة من أبناء وأحفاد أبي حفص عمر. ويلاحظ تسجيل ألقاب الخلفاء العباسيين على ما ضربه هؤلاء الحكام في دلالة على تبعيتهم للخلافة العباسية.

وهناك شاهد أثري آخر، يمكن من خلاله الوقوف على دراسة ما تبقى لنا من آثار تلك الإمارة العربية على أرض الجزيرة، ويتمثل هذا الشاهد في ما أخرجته أعمال الحفائر التي تمت في المواقع المختلفة، التي وجد عليها العرب الأندلسيون.

فقد بدأت الحفائر في الكشف ببطء عن بعض الآثار التي تعود للحقبة موضوع الدراسة، سواء أكانت هذه المكتشفات ثابتة أم منقولة، تحت أنقاض المدينة البيزنطية القديمة⁶³. وهي عبارة عن بعض الأساسات التي تعود إلى حقبة الوجود العربي على أرض الجزيرة، حيث جرى الكشف عن بعض الجدران في أعماق مختلفة من سطح أرضية الموقع الذي تقوم فيه وزارة الثقافة اليونانية بالحفر فيه منذ سنة ١٩٦٦ إلى الآن، بجوار كنيسة القديس بيتر⁶⁴.

ومن خلال القطع الفخارية والعملات التي عُثر عليها، أمكن تأريخ هذه الجدران المكتشفة تحت منشآت تعود إلى حقبة وجود الفينيسيين بالجزيرة، وإن لم توجد أية شواهد أخرى يمكن الاعتماد عليها في دراسة هذه الآثار سوى ما سجلته لنا العملات وما عليها من نقوش، وكذلك من خلال الدراسات المقارنة لخصائص القطع الفخارية وأسلوبها الفني القريب جدا من خصائص الفخار الإسلامي في تلك الحقبة.

يمكن القول بأنه لا توجد أية منشآت من بيوت أو مساجد أو غيرها ترجع إلى حقبة حكم أسرة بني حفص لكريت، ويرجع السبب في ذلك إلى أن البيزنطيين قد قاموا بتدمير المدينة برمتها، عامدين في ذلك إلى مسح الهوية الإسلامية للجزيرة في هذه الحقبة، ومع ذلك فإن الحفائر التي قامت بها هيئة الآثار اليونانية في كريت، قد أخرجت لنا العديد من الشواهد الأثرية المعمارية والفنية، التي يمكن الاعتماد عليها في دراسة الحالة المعمارية والفنية للجزيرة أثناء حكم أسرة بني حفص. وهنا لا يتسع المجال لتناول ما أخرجته لنا الحفائر، وإن كنت أمل أنأفرد لها دراسة مستقلة في المستقبل بإذن الله.

الخاتمة

في خاتمة هذا العمل يجب الإشارة إلى أنه من خلال الشواهد الأثرية أمكن دراسة تاريخ الإمارة العربية على أرض جزيرة كريت والتي أثبتت:

١- مدى تمكن العرب الأندلسيين من صد الهجمات البيزنطية سواء كانت هذه الهجمات على الجزيرة نفسها أم على غيرها من الأراضي التي كانت تتبع الحكومات الإسلامية.

٢- معالجة الحقبة التي شهدت توترا متناميا في العلاقات بين الإمبراطورية البيزنطية والدولة الإسلامية، حيث تمكن الفنان الذي قام بإعداد المخطوط من سرد تاريخ هذه الحقبة التاريخية من خلال تصاوير

63Starida. L, The Arabic Forts throw the Excavation, Graeco-Arabica, Vol. 6, Heraklion 2011. 105-118.

64Starida. L, The Architecture remains from the Arab Emirate in Heraklion, Graeco-Arabica, Heraklion, vol. 7, Crete, Heraklion 2012.

المخطوط التي جاءت في تسلسل وترتيب، فيه قدر كبير من التفصيل الذي وضح من خلال التصاوير بالإضافة إلى النص والتعليقات التي ألحقت بها.

٣- يمكن من خلال هذا العدد الكبير من التصاوير في المخطوطة المذكورة، التي قدمت لنا أوصافاً تفصيلية، ووضعت الطرفين جنباً إلى جنب في لقطات وصفية مهمة، أن نستنتج أن ذلك جاء نتيجة لنمو العلاقات البيزنطية الإسلامية.

٤- لوحظ في بعض هذه التصاوير أن الموضوع يتعلق بالإمبراطور البيزنطي والخليفة المسلم في نوع من المعادلة التي ربما تدل على أن مصور المخطوطة كان على دراية تامة ومعرفة وثيقة بمقاييد الأمور في الطرفين الإسلامي والبيزنطي.

٥- يمكن ملاحظة بوضوح مدى التوازن الكبير عند تناول التصاوير في تجسيد القادة الأندلسيين من ناحية، وكيفية تناول القادة البيزنطيين، وذلك من حيث المساحة التي أتاحها لكل منظر، وكذلك الثراء الزخرفي الذي تميز به كلا المنظرين التصويريين، وهذا ما يدعم اتجاه بعض الباحثين القائلين بأن أحد المصورين العرب قد شارك في رسم هذا المخطوط. وإن كان هذا الاحتمال بدون دليل واضح اللهم إلا من خلال التفاصيل التي تشير إلى المعرفة الكبيرة التي تمتع بها المصور بالتقاليد العربية السائدة في ذلك الوقت.

٦- تأكد من خلال الدراسة الفنية للمخطوط ثمة اتجاه يشير إلى أن التصاوير قد شارك في رسمها أكثر من مصور، والدليل على هذا الاتجاه، هو التباين في الأساليب الفنية للتصاوير المختلفة. ويمكن القول بأن المصور كان من دون شك على دراية تامة بالثقافة العربية الإسلامية، ووضح ذلك في تفاصيل السحن والوجوه، وكذلك في أساليب تناوله أغطية الرؤوس للأشخاص العرب الذين تناولهم المخطوط.

٧- أشار مؤلف المخطوط دائماً إلى معسكر العرب باسم "Kretes"، وإلى المعسكر الآخر باسم "Romai"، وذلك بالحبر الأحمر أعلى كل معسكر بوصفها وسيلة توضيحية توثيقية لطرفي النزاع في تلك الحقبة.

وفي النهاية لا يسعني إلا أن أتعهد إن شاء الله تعالى بالمزيد من الدراسات حول تاريخ وأثار هذه المنطقة من خلال مثل هذه الشواهد الأثرية التي تزخر بها المدن الأوربية.



خريطة ١: توضح موقع جزيرة كريت في البحر الأبيض المتوسط.

خريطة ٢: توضح النقطة التي رست فيها سفن أبي حفص علي Caracas ، شواطئ الجزيرة والتي اطلق عليها Gigourlakis. N, pp. 74-94.



موقع الحصن العربي في مدينة

موقع الخندق العربي الذي حفره للعرب الاندلسيين

خريطة ٣: توضح موقع الخندق العربي الذي حفره العرب الاندلسيون أمام الحصن ، تصوير الباحث

شكل ١: رسم توضيحي يسجل موقع القلعة التي أقامها بنو حفص علي شاطئ الجزيرة

Starida. L, The Architecture remains from the Arab Emirate in Heraklion, Graeco-Arabica, Heraklion, vol. 7, Crete, Heraklion 2012.



The Synopsis Historiarum of Ioannes Skylitizes، تصور المؤلف John Scyltizes وهو يقدم المخطوط للإمبراطور البيزنطي .

لوحة ١: تصويرة من مخطوط



لوحة ٢: مجموعة من ستة محاربين أندلسيين في بلاط حاكم الاندلس، يطلبون الإذن بالإبحار في البحر المتوسط بحثا عن أماكن أكثر ثراء. وعلق المؤلف أعلي الصورة بـ:

Τον αμερμουμνιν ι Κέαμπρ οσέρχοτν οι προς χωπροι τ...κε ανώ άγααρ(κ) νοί

" يستأذنون أمير المؤمنين بالهجرة الي أماكن أكثر ثراء."



لوحة ٣: تصور ثلاث سفن حربية في مياه بحر إيجة، محملة بالاندلسيين. رقم (Fol.38v)



لوحة ٤: تصور أحداث تمرد Thomas سنة ٨٢١-٨٢٣م علي الدولة البيزنطية ، تحت رقم (Fol. 34v, bottom).



لوحة ٥: تصويرة تمثل ردة فعل الأسطول البيزنطي للقضاء علي تمرد Thomas باستخدام النار الإغريقية. تحت رقم (Fol. 34v bottom)



لوحة ٦: تصويرة تعبر عن الإجراءات التي هم باتخاذها سكان كريت للدفاع عن الجزيرة، بتحسين المدينة بحفر الخندق لإعاقة القوات العربية.



لوحة ٧: تصويرة تقدم إحقاق بني حفص قائد الأندلسيين لبعض السفن بعد الوصول إلأراض الجزيرة. تحت رقم (Fol.39r).



لوحة ٨: تسجل أحداث المعركة الدائرة فور وصول العرب الي أرض الجزيرة، حيث قامت القوات البيزنطية بقيادة Kraterus. تحت رقم fol. 40v. top



لوحة ٩ من الأعلى: تقدم لنا القوات البيزنطية بقيادة Kraterus الذي يظهر مقبلا في مقدمة قواته مشهرا سيفه. تحت رقم fol. 40v. top
- من الأسفل: تقدم لنا المعركة التي دارت بين قوات أبي حفص و البيزنطيين الذين هزمهم، وجعلوهم يفرّون من أمامهم. تحت رقم fol. 40v. bottom



لوحة ١٠: وعلى الجانب الأيمن عبر الفنان عن نتيجة المعركة التي انتهت بصلب القائد البيزنطي Kraterus علي عمود خشبي، وعلق عليها بكتابة كلمة "ἡ συνελωκρεμάση" (الشنق)، والحقيقة أن الصورة تظهر شراسة هذه العقوبة. (fol. 41r, top. Fig 10)



لوحة ١١: مهاجمة القوات العربية لقوات Gongyles معلقا عليها بـ "Άγαθηοὶ τρέπουσι τοὺς ρωμαίους καὶ σφάζουσι" (fol. 138v. top)



لوحة ١٢: تحركات الجيش البيزنطي ضد الأندلسيين علي أرض الجزيرة، فأظهرت الجزيرة علي شكل تل كبير، في حين شغلت الحصون والقلاع العربية أقصى اليمينن التصويرة وهو حيز كبير منها. تحت رقم (fig.339- Fol.140r)



لوحة ١٣: تسجل الاحتفالات البيزنطية بانتصارات قواتهم بقيادة Nicephorus Phocas واسترداد الجزيرة سنة ٩٦١م.



لوحة ١٤: دينار باسم شعيب بن أبي حفص عمر (٨٥٥-٨٨٠م)، متحف الأشمولين، إنجلترا.